



موسكو تبتلع «جنيف 1»... المعارضة السورية لا تستطيع أن تهضم ما وراء أفعال الكرملين، خصوصاً تحجيمه الفصائل المعارضـة المقاتلة، غير المصنفة إرهابية، و «تسريب» مشروع الفيدرالية الذي يشـجـع أكراد البلد ويحرـضـهم على رفض العيش تحت سقف الدولة الموحدـة، ولو بـنـيـتـ ديموقراطـيةـ.

واشنطن ابتلعت «الطعم» الروسي، أو أنها واثقةـ بـ «صواب»ـ خـيارـهاـ تـفوـيضـ الكرـمـلينـ ملفـ الـحـربـ التيـ أدـتـ إـلـىـ مـقـتـلـ أكثرـ منـ ثـلـاثـمـائـةـ أـلـفـ سـوـريـ،ـ وـمحـتـ مـدـنـاـ وـبـلـدـاتـ عـنـ الـخـرـيـطـةـ،ـ وـهـزـتـ حـدـودـ أـورـوـبـاـ...ـ وـانـتـزـعـتـ مـنـ الـعـرـبـ مـاـ يـقـيـ لـدـيهـمـ منـ ثـقـةـ بـوـعـودـ الرـئـيـسـ بـارـاكـ أـوبـاماـ الـذـيـ أـجـادـ قـرـعـ الطـبـولـ ثـمـ تـرـكـ شـعـبـاـ فـيـ مـحرـقةـ الـجـلـادـ وـحـلـفـائـهـ.

باتـ واضحـاـ منـ فـصـولـ الـحـربــ المـحرـقةــ،ـ أـنـ تقـاطـعـ مـصـالـحــ عـلـىـ الـأـقـلــ.ـ يـجـمـعـ أـرـبـعـةـ أـطـرـافــ:ـ أـمـيرـكـاـ الـتـيـ تـخـشـىـ عـلـىـ جـنـودـهــ وـتـفـضـلـ التـفـرـجـــ وـلـوـ أـمـامـ إـبـادـاتـ،ـ وـرـوـسـياـ الـثـائـرـــ لـ «ـكـرـامـتـهــ»ـ فـيـ مـواجهـةـ «ـغـطـرـسـةــ»ـ الـغـرـبــ وـ «ـغـدرـهــ»ـ،ـ وـإـسـرـائـيلــ الـنـائـمــ عـلـىـ حـرـيرـ تـدـمـيرـ دـوـلـةـ أـخـرـىـ عـرـبـيـةــ،ـ بـمـاـ يـمـكـنـهــ مـنـ ضـمـانــ أـمـنـهــ لـخـمـسـيـنــ سـنـةــ مـقـبـلـةــ...ـ وـأـخـيـراــ إـيـرانــ الـحـلـيفــ الـثـانـيــ لـلـنـظـامــ السـوـرـيــ الـذـيـ لـمـ يـسـتـطـعــ إـنـقـاذـهــ رـغـمــ إـرـسـالـهــ فـرـقــ «ـالـخـبـراءــ»ـ لـإـدـارـةــ الـمـعـرـكـةــ.

موسكو تنسـقــ معــ إـيـرانــ وـإـسـرـائـيلــ وـأـمـيرـكـاـ،ـ وـطـهـرـانــ وـموـسـكـوـ تـدـيرـانــ نـظـامــ الرـئـيـســ بــشارــ الـأـســدــ،ـ وـإـنــ كـانــ الرـيـبـةــ الإـيـرانــيــةــ وـاضـحةــ حـيـالــ مـدـىــ إـصـارـةــ الـكـرـمـلـينــ عـلـىـ التـشـبـثــ بــ «ـشـرـعـيـةــ»ـ الـأـســدـــ.ـ صـحـيـحــ أـنــ الـرـوـســ مـاـ زـالـواـ يـقـصـفـونــ مـوـاـقـعــ وـمـنـاطـقــ تـحـتــ سـيـطـرـةــ الـمـعـارـضــةــ الـمـعـتـدـلــةــ،ـ لـكـنــ الصـحـيـحــ يـضـأـنــ أـنــ لـأـحـدــ يـشـكـكــ بــ «ـمـرـونـتـهــ»ــ حـيـنــ تـأـتـيــ سـاعـةــ الـتـسـوـيـةـــ.ـ فـقـيـصـرــ الـكـرـمـلـينــ يـُدـرـكــ أـنــ أـيــ مـفـاوـضـاتــ جـديـةــ لـطـيــ صـفـحةــ الـحـربــ،ـ لـأـ بـدــ أـنــ تـكـوـنــ مـعــ الـمـعـارـضــ،ـ بـمـاـ فـيــهــ الـفـصـائـلــ الـمـسـلـحــةـــ «ـغـيرــ الـإـرـهـابـيــةــ»ــ.ـ وـاسـتـقـواـءــ الـأـســدــ باـسـتـعـادـةــ مـنــاطـقــ مـنــهــ،ـ لـنــ يـمـكـنــهــ مـنــ فـرـضــ جـدـولــ أـعـمـالــ لـجـنـيفــ بــمـعــايـيرــ الـنـظـامــ،ـ أـيــ إـصـارـةــ عـلـىـ الـإـرـهـابـيــةــ»ــ.

أولوية مكافحة الإرهاب. المهزلة أن الجميع يعرف تماماً أن الذريعة ذاتها للتنصل من المرحلة الانتقالية، ستجعل المرحلة في خبر كان قبل أن تبدأ، ما يفسّر غضب الهيئة التفاوضية العليا.

أربعة متذمرون على السوريين، على حساب دمائهم... أربعة أيضاً محشورون في زاوية الوقت والتسوية المريرة: طهران المشكّكة التي أجلّت روسيا تسليمها منظومة صواريخ حدّيثة، وموسكو الساعية إلى خفض موازنة الدفاع لجيشه، ونظام الأسد الفقير من نيات الكرملين، والمعارضة السورية التي تلقت ضربات وخسرت مناطق ومواقع بعد تدخل الروس. وإذا صح أن واشنطن تريد بالتفاهم مع الرئيس فلاديمير بوتين فرض تسوية في سورية، خلال ما تبقى من عهد أوباما، ينتقل قلق النظام وحليفه الإيراني إلى مرحلة حرجة، قد تستتبع «مبادرات» مفاجئة من الأسد لعرقلة قطار الحل، ليست من النوع المسرحي الذي اكتسحه دعوته إلى انتخابات عامّة الشهر المقبل.

الأكثر مرارة لدى السوريين، أن القطار الروسي الذي تحرّسه غارات على الأخضر واليابس، قد يدخل بوتين أولاً، ولا يصل إلى أي محطة... مسار الحرب لا تحسمه دائماً معركة هنا وكُرْ وفُرْ هناك، ولا الحرب الجوية وحدها قادرة على إرغام الفصائل المقاتلة على رفع الراية البيضاء.

أما سيناريو العودة إلى الخيار الإيراني، فيعني - رغم استبعاده - إغفاء موسكو من كلفة الحرب، واستكمال انتحار سورية ونهر السوريين. وإذا كان صحيحاً ما أكدته واشنطن عن سحب طهران عناصر من «الحرس الثوري» من ساحات الحرب، فأغلب الظن أن الخطوة مرتبطة بقطار التطبيع الأميركي - الإيراني أكثر مما هي من مستلزمات إدارة الكرملين القتال. وتعيد إلى الذاكرة وقائع النفي الإيراني المتكرر للتفاوض مع الولايات المتحدة على ملفات إقليمية.

من يكسب الرهان، موسكو أم طهران؟ الجواب معروف إذا كانت المنطقة في مخاضها العسير على عتبة خرائط جديدة. ولكن، حتى لو أراد الكرملين تفادياً ما فعله الغرب في ليبيا، وتركه إليها لاقتتال الميليشيات، فأي تسوية مضمونة في سورية، وبين جولة قتال وأخرى تتضخم الأحقاد وألغام وحدة البلد؟ إذا أصرّت المعارضة على رحيل الأسد في بداية المرحلة الانتقالية، فهل يخرب النظام وقف النار، ليستدرج ضربات أخرى روسية، من أجل إنهاء كل الفصائل؟... أم أن القلق التركي - الإيراني من مشروع الفيدرالية السورية وطمومحات الأكراد، سيوحد تطلعات أنقرة ومصالح طهران في مشروع تعطيل القطار الروسي؟

الحياة اللندنية

المصادر: